

الجزء الأول

د. موسى أبو مزروق

مَشْوَارُ حَيَاةٍ

ذِكْرِيَاتُ اللّجُوءِ وَالغُرْبَةِ وَسَنَوَاتِ النُّضَالِ

إعداد : شاكِر الجوهري



## **الفصل السادس**

### **البعث الإسلامي في أمريكا**



## البعث الإسلامي في أمريكا

هاجس العودة إلى قطاع غزة ظلّ يراود أبو مرزوق طوال فترة إقامته في الإمارات العربية المتحدة، ومثّل الدافع الأقوى الذي جعله يتوجه سنة 1982 إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمواصلة دراساته العليا.

كانت الجامعة الإسلامية قد أُسّست في غزة في سنة 1978، وكانت سلطات الاحتلال الإسرائيلي تمنح تصاريح "لم شمل" لمن يتم التعاقد معهم للعمل في حقل التدريس في الجامعة. وعلى ذلك، فقد شدّ أبو مرزوق الرحال في هذه المرة إلى الولايات المتحدة للحصول على تأشيرة مميزة تعيده إلى وطنه، تلك هي شهادة الدكتوراه.

### التوجّه إلى أمريكا:

بعد أن حصل على قبول في جامعة كولورادو الأمريكية، تمكن أبو مرزوق من الحصول على تأشيرة دخول للولايات المتحدة له، حيث كان قد سبقه إلى الجامعة نفسها إسماعيل أبو شنب، والتقىا ثانية بعد فراق دام سبع سنوات من 1975 حتى 1982.

وفي منتصف سنة 1984 كان أبو مرزوق قد حصل على شهادة الماجستير في إدارة الإنشاءات الهندسية، وكان هناك من أتى من الإمارات وغيرها إلى الجامعة نفسها والمدينة نفسها فورت كولنز Fort Collins، منهم؛ كمالين شعث، وإسماعيل البرعصي، ومحمد الحلو، ومحمد المزين، ومحمد أكرم العدلوني، وأحمد يوسف. وكان في المدينة نفسها عدد من الإخوان المسلمين من مختلف الجنسيات. وتكوّنت في المدينة أول مجموعة إخوانية، اصطفّ إليها عدد آخر من الجنسيات المختلفة؛ ليبية، ومصرية، وأفغانية، وسعودية، ومنهم من برز اسمه في فترات لاحقة مثل؛ د. محمد بشر، ود. طارق وفاق من مصر، ود. أحمد زي من أفغانستان، وإسماعيل أبو شنب، وكمالين شعث، وأحمد يوسف من فلسطين.

حين وصل أبو مرزوق إلى فورت كولنز الصغيرة، انخرط ضمن كوكبة من طلاب الدراسات العليا من مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي، وإن كانت أبو ظبي محطّ لقاءات العديد من قيادات العمل الإسلامي الذين كانوا يحلون على تنظيم الجماعة هناك، فتقدم لهم التسهيلات لمقابلة المسؤولين، أو لجمع التبرعات لقضايا العالم الإسلامي الساخنة، مثل: قلب الدين حكمتيار، وعبد رب الرسول سياف، وبرهان الدين رباني، والقاضي حسين أحمد، وآخرين من شرق الخليج، وعبد الله عزام، ومحمد أبو فارس، وقيادات الإخوان في الأردن، ومصر، ولبنان؛ أمثال الشيخ فيصل مولوي رحمه الله، وإبراهيم المصري، وحسن الترابي، والشيخ محمد الغزالي رحمه الله، وعبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، إلا أن فورت كولنز كان فيها مجموعة من الشباب الذين يُرجى أن يتبوأوا في بلادهم مكانة عليا. ولاحقاً استقبلت المدينة مجموعة من الكمبوديين المسلمين الفارين من مجازر الخمير الحمر، فتم رعايتهم من قِبَل المركز الإسلامي الذي تمّ إنشاؤه في فورت كولنز، فتم شراء أرض لهم وبُنيت لهم بيوت وهم في بلادهم كانوا فلاحين، واشترت لهم الحقول ليعودوا للعمل بالزراعة، وكان من بينهم أحمد شامبا، وذو الكفل، وقد عاد أحمد لاحقاً إلى كمبوديا وأصبح عضواً في البرلمان، واشتغل ذو الكفل في تجارة السيارات وهو يقيم الآن في جدة.

### المحطة الجديدة فورت كولنز:

بعد وصول أبو مرزوق واستقراره والتسجيل في معهد اللغة تمهيداً للدراسة الجامعية، تمّ اللقاء الأول للمجموعة الموجودة في المدينة وضم القادمين من دولة الإمارات، وكان مسؤول الجماعة في المدينة المهندس أبو الحسن إسماعيل أبو شنب، الذي تنازل عن موقع المسؤولية لأبو مرزوق، وأصرّ على ذلك، فيما كان أبو مرزوق ما يزال يتلمّس معرفة المدينة ولغتها.

وقد كان مسجد المدينة جامعاً لكل النشاطات الاجتماعية والسياسية والرياضية، والمناسبات الدينية، ويجمع كل الجنسيات، مما جعله ميداناً مناسباً للاستقطاب، وبعد أشهر أصبح العمل في هذه المدينة الصغيرة متميزاً أو مشهوداً بين المدن الجامعية على مستوى القارة.

تنظيم الجماعة في أمريكا كان عاماً لكل الجنسيات، ففيه المصري، والفلسطيني، والليبي، والموريتاني، والصومالي، والماليزي، والباكستاني، ومعظم هؤلاء طلاب دراسات عليا في مختلف التخصصات (تقريباً 60% من أعضاء التنظيم كانوا يحملون شهادات الماجستير والدكتوراه)، وكان هناك عدد لا بأس به من العاملين المستقرين في الولايات المتحدة، جلهم أساتذة جامعات عملوا بعد تخرجهم وتعدّرت عودتهم لبلادهم، أو أطباء غادروا بلادهم على إثر أزمات حلت بهم ومعظم هؤلاء الأطباء من الإخوة السوريين.

وكان بالإضافة للقيادة الجامعة، مناطق تنظيمية، وكانت الولايات المتحدة مقسمة إلى سبع مناطق تنظيمية. وكان العمل التنظيمي في ولاية كولورادو ضعيفاً؛ وكان فيها عدة جامعات وبالتالي تواجدت فيها تجمعات طلابية؛ ومنها فورت كولنز الذي انتسب إليها أبو مرزوق، وبولدر وهي التي درس فيها الشهيد سيد قطب رحمه الله. وكان بها أسرة واحدة وثلاثة إخوة آخرون في دنفر وهي عاصمة الولاية.

المنطقة التنظيمية التابعة لها ولاية كولورادو كانت المنطقة الثالثة. وتشمل كولورادو، أكلوهوما، أريزونا، أركنساس، وكان مسؤول المنطقة الأستاذ عماد أبو دية، وكان في قيادة الجماعة ومسؤولها الأول د. أحمد عثمان مكي رحمه الله، والذي توفّي في مدينة شيكاغو سنة 1998، وكان أعضاء المكتب التنفيذي، وفقاً لذاكرة أبو مرزوق، هم: د. طارق السويدان، وأ. عماد أبو دية، ود. أحمد القاضي رحمه الله، والشيخ عمر الصوباني رحمه الله، ود. بسام عثمان، ود. ربحي البشتاوي رحمه الله، ود. زيد نعمان، ود. عبد الرحمن أمين، ود. محمد الجليلي رحمه الله، بالإضافة لأبو مرزوق نفسه وآخرين.

بالإضافة إلى العمل المشترك الذي يتم بمشاركة الجنسيات المختلفة، كان هناك عمل إقليمي لمعظم الجنسيات خدمة لبلادهم، وكان المسؤول عن العمل الإقليمي في كل قطر يُسمّى منسق الإقليم، وكان هناك أعمال للإخوة المصريين، والتونسيين، والكويتيين، والماليزيين، وكذلك بلاد الشام، وكان منسق الإخوة في بلاد الشام

هو الأخ عماد أبو دية، الذي ما لبث أن أحال المسؤولية إلى أبو مرزوق، وكتب كتاباً للإخوة في المكتب التنفيذي في عمان بدون علم أبو مرزوق وأجازوا فعله.

الانخراط في العمل الإسلامي في المدينة وفي المنطقة بالإضافة إلى موقع منسق الإخوة من بلاد الشام، عمل كبير ومسؤولية مبكرة، وما هي إلا نهاية العام حتى كانت الانتخابات التي تمّ على إثرها انتخاب أبو مرزوق في المكتب التنفيذي، وتولّى الملف السياسي في الجماعة.

كان العمل التنظيمي في أمريكا يتم تحت عنوان قانوني كجمعية ثقافية تتم اللقاءات تحت عنوانها، ويتم التبرع والاشتراكات باسمها، ولها محاسب قانوني، ومحاضر اجتماعات يدقق عليها سنوياً. وكانت هناك مؤسسات أساسية في الولايات المتحدة: اتحاد الطلبة المسلمين، وكان يجمع كل الطلاب المسلمين سواء كانوا أمريكيين أو وافدين، ولغة الخطاب الإنجليزية بالطبع. الواجهة الأخرى اتحاد الطلبة العرب، وكان خاصاً بالطلاب العرب ولغة الخطاب العربية. وكان هناك مؤسسة ثالثة خاصة بالوقف الإسلامي واسمها الوقف الإسلامي لأمريكا الشمالية، وكانت أعمالها اقتصادية ووقفية للمسلمين، فيها تمّ تسجيل أكثر من ألف مسجد وعدد كبير من المدارس، بالإضافة إلى كونها تجمع التبرعات والهبات وتوزعها على المحتاجين، وكذلك نشاط داخل السجون وأنشطة أخرى، وكان المركز الرئيسي الجامع في إنديانابولس Indianapolis.

أما في عموم الولايات المتحدة، فقد وجد أبو مرزوق حركة إسلامية ناشطة كانت قد بدأت ما يمكن تسميته بحركة بعث إسلامي بين المسلمين في أمريكا، منذ بداية الستينيات، حيث تأسس اتحاد الطلبة المسلمين، وبدأ إقبال الجاليات العربية والإسلامية على بناء المساجد الذي أصبح مكاناً للنشاط الرئيسي لكثير من الفعاليات العربية والإسلامية، ممثلاً المرحلة الأولى من مراحل البعث الإسلامي الذي امتد في وقت لاحق من الولايات المتحدة إلى كندا. وعندما وصل أبو مرزوق للولايات المتحدة، كان هذا الحراك قد بدأ مرحلته الثانية، وهي مرحلة بناء المدارس والمؤسسات الثقافية والاجتماعية. أما المرحلة الثالثة من مراحل هذا النشاط فقد تميّزت ببناء المؤسسات السياسية والحقوقية والتخصصية لقضايا العالم العربي والإسلامي.

وقد أسهم أبو مرزوق في كل هذه النشاطات في الولايات المتحدة وكندا، إلى جانب الرموز الذين سبقوه من الستينيات، ومن بينهم: د. جمال البرزنجي (كردي عراقي)، ود. هشام الطالب (عراقي)، ود. أحمد القاضي (مصري)، ود. محمود الرشدان (أردني)، ود. أحمد مكي (سوداني)، ود. فتحي المكاوي (أردني)، وعمر الصابوني (فلسطيني)، وعدد لا بأس به من الأطباء السوريين المهاجرين.

### جهدٌ على محورين...

انخرط أبو مرزوق في العمل الإسلامي العام، لم يوقف نشاطه في مجال العمل الإسلامي الفلسطيني وتواصل ارتباطه بالتنظيم في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وقد أثرت كل هذه النشاطات على سير دراسته التي لم تنتظم في جامعة واحدة. فبعد حصوله على الماجستير من جامعة كولورادو في فورت كولنز درس لفترة فصل دراسي واحد في كولومبيا - ميزوري، وجامعة أخرى تقع في منطقة واشنطن، ثم انتقل إلى جامعة لويديانا تك، وهي جامعة حكومية رئيسية في الولاية تختص بالعلوم التكنولوجية، ومنذ ذلك الوقت يقول: لم تعد دراسته تحظى بجُلّ اهتمامه، إذ أصبح يسير فيها "على راحته". وتركز عمله داخل الولايات المتحدة بحكم مسؤولياته، في التنظيم العام وإدارة شؤونها بعمومها من متابعة للشؤون السياسية، وأعمال الاتحادات الطلابية العامة، والعمل المباشر في المدينة نفسها، وكذلك العمل الفلسطيني في داخل الولايات المتحدة.

كان عدد الفلسطينيين في الولايات المتحدة يزيد عن 350 ألف فلسطيني منهم من أتى قبل سنة 1948، ومنهم من هاجر بعد ذلك. وكثير من المهاجرين أتوا من الضفة الغربية، حيث توجد قرى بأكملها جاءت للولايات المتحدة، وهناك كذلك مسيحيون من منطقة القدس، وهناك عدد من المفكرين البارزين من الفلسطينيين، مثل د. وليد الخالدي، ود. إدوارد سعيد، وعدد لا بأس به من أساتذة الجامعات والأطباء.

وللأسف كان الكثير من الجيل الثالث في أمريكا بعضهم بدأ ينسى لغته الأصلية. يذكر أبو مرزوق أنه حين كان يدرس في معهد اللغة، كانت هناك فتاة



ملاحها شرق أوسطية، بل تشبه بنات بلده، وحين سألتها عن أصلها ذكرت بلدها الذي وُلِدَتْ فيه، ولما كرّر السؤال عن الأصل قالت إنّ جدّها جاء من القدس، وإنها لا تذكر من فلسطين غير الزعتر.

في أثناء دراسة أبو مرزوق للفصل الثاني، حدثت مجزرة صبرا وشاتيلا في بيروت، 45 ساعة متواصلة من القتل ما بين غروب يوم الخميس 1982/9/16 إلى ظهر يوم السبت 1982/9/18، والتي كانت أبشع مجازر القرن العشرين.

ويذكر أبو مرزوق أنه حينما زار مخيمي صبرا وشاتيلا في سنة 1974، ناقلاً رسالة إلى قيادة الجماعة في لبنان من المرشد العام، كان يومها أخوه محمود في بيروت، وكان مكتبه في مخيم صبرا، ويقول إنه لاحظ أن معظم سكان المخيمات كانوا من الجليل الأعلى، ومن الساحل الفلسطيني.

في 1982/6/6 اجتاح الجيش الصهيوني لبنان ووصل إلى مشارف بيروت، وتوقفت الحرب بموجب اتفاقية عقدها المبعوث الأمريكي فيليب حبيب Philip Habib (لبناني الأصل) مع القوى الوطنية الفلسطينية، خرج على إثرها المقاتلون الفلسطينيون من لبنان، وتعهد الأمريكان بحماية الفلسطينيين في مخيماتهم.

عمّ الحزن والأسى بيروت الغربية برحيل القوات الفلسطينية، وعمّ الفرح بيروت الشرقية لانتخاب بشير الجميل رئيساً للجمهورية، إلا أن الفرح لم يستمر طويلاً، ففي 1982/9/14 أدى انفجار ضخم إلى مقتل الرئيس المنتخب مع 21 آخرين، وجرح 59 شخصاً، ودخل الجيش الصهيوني بيروت تحت ذريعة وجود 2,500 جندي فلسطيني باقين، وللحيلولة دون حدوث تصادم إسلامي مسيحي بعد مقتل بشير الجميل.

وما هي إلا أيام، وتُرتكب مجزرة دموية في منطقة صبرا وشاتيلا خطط لها أرييل شارون Ariel Sharon وزير الحرب الإسرائيلي في حينه، ونفذتها ميليشيات لبنانية متواطئة، مجزرة حين كانت تنقلها وسائل الإعلام، كانت تطلب إبعاد الأطفال والأولاد من أمام شاشات التلفزة، حتى لا يشاهدوا الأشلاء، ولا أيدي الرجال الممدودة والبطون المبقورة ولا الرؤوس "المفشوخة"، ولا الدماء المتجمدة

كبرك الشتاء في يوم ماطر، أكثر من 3,500 شهيداً سقطوا في هذه المجزرة. ومن بقي حياً كانت مصيبتة النفسية والاجتماعية أكبر بكثير.

ماذا يفعل الفلسطيني؟ هل يتوقف؟ وأين القدس؟ وأين بينا وقد حملهما أبو مرزوق في قلبه، وإن بعدت الأجساد عن فلسطين، فإن فلسطين تظل تسكنها، وغيره يقطف ثمارها، كما يقول، مضيفاً: ”وحتى السجود على ترابها حرماناً منه، فماذا بقي غير الجهد والجهاد لنقي العباد مجزرة جديدة؟“.

### مؤسسات أمريكية في خدمة فلسطين:

كان هناك لكل جنسية من التنظيم العام لجنة تشرف على شؤونها الخاصة وتُسمى بلجنة تنسيق، وكان هناك لجنة تخص بلاد الشام برئاسة الأستاذ عماد أبو دية وبعد فترة وجيزة حمل مسؤوليتها أبو مرزوق.

مسؤولية أبو مرزوق في لجنة التنسيق جعلته يفكر في العمل للقضية الفلسطينية أكثر، وخصوصاً مع هبوب رائحة الدم والألم، ولكن بشكل متواز مع العمل الإخواني العام، خصوصاً أنه كان موجوداً أيضاً في قيادة العمل الإخواني، وتم إنشاء عدة مؤسسات كلها عاملة في الأطر المختلفة:

المؤسسة الأولى: الاتحاد الإسلامي لفلسطين، وقد تعرض لهزة كبيرة، حيث إن الخلاف الإخواني حول التنظيمات القطرية، والعمل المركزي للإخوان، وما ترتب على ذلك من مشكلات، قد انعكست على الإخوان السودانيين بخروجهم من التنظيم المركزي. كما انعكس ذلك على بعض المتعاطفين معهم وعلى رأسهم د. سامي العريان، وهو أستاذ في الاتصالات، وكان على حُلق وثقافة عالية، عرفه أبو مرزوق منذ كان طالباً في الثانوية العامة، هو ود. مازن النجار؛ حيث كانت الدعوة الأولى لهما إلى الإخوان قبل مجيء د. سامي إلى الولايات المتحدة، ودخول مازن جامعة القاهرة. ود. سامي ناشط في العمل الإسلامي والعمل الفلسطيني، وكان لخروجه من التنظيم خسارة كبيرة. وقد شكّل د. سامي لجنة فلسطين في تامبا - فلوريدا، تاركاً الاتحاد.

وقد تمت إدارة الاتحاد من عدد آخر من الإخوان، كان أبرزهم: د. ياسر بشناق، والشيخ محمد الحانوتي، وأ.ع. وتمت إعادة بناء الاتحاد ومجلس شوره، وكان في هذا المجلس عدد من غير الفلسطينيين. وكان هناك حرص على أن يكون اتحاداً لفلسطين، بمشاركة من غير الفلسطينيين؛ لأن القضية تخص كل العرب والمسلمين بالإضافة إلى الفلسطينيين. ولكن بقي 95% من أعضاء وقواعد الاتحاد تقريباً من الفلسطينيين. وأصدر الاتحاد مجلة الزيتونة، وكان جُل نشاطه في الجالية الفلسطينية، والتي كانت تتمركز في عدة ولايات في الولايات المتحدة، أبرزها فلوريدا، وأوهايو، وشيكاغو، ونيويورك، وكاليفورنيا.

المؤسسة الثانية هي المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث United Association for Studies and Research (UASR)، والتي أدارها د. أحمد يوسف، وإن بدأت في فورت كولنز بدايات متواضعة من أرشيف وبعض الإصدارات، إلا أنها في نهاية الثمانينيات أصبحت مؤسسة كبيرة مخدومة، ولعلها المؤسسة الأبرز على مستوى الولايات المتحدة، وكان أبو مرزوق حريصاً على ألا يدخل في العمل التنفيذي لأي من المؤسسات، إذ كان رئيساً لمجلس أمناء المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث، وكذلك كان عضواً في مجلس شورى الاتحاد الإسلامي لفلسطين.

المؤسسة الأخرى كانت مؤسسة خيرية تُعنى بجمع التبرعات ودعم أبناء الشعب الفلسطيني في فلسطين، وهي مؤسسة الأرض المقدسة، ولم يدخل أبو مرزوق في هيئتها الإدارية ولا في هيئة المؤسسين. والبداية كانت صندوق الأرض المحتلة ضمن مؤسسة الوقف، ثم استقلت على إثر خلافات مع د. بسام عثمان، وهو طبيب يعمل في شيكاغو، وكان يرأس مؤسسة الـ"North American Islamic Trust (NAIT)". وقد تمّ، وبظلم شديد، سجن معظم العاملين فيها، لا لذنوب إلا أنهم ساعدوا أهل فلسطين، وأتهموا بمساعدة "الإرهاب"، لكون الأموال التي بُنيت بها المؤسسة كانت من حساب أبو مرزوق الشخصي الخاص. وتم إقفال المؤسسة وسجن العاملين فيها، وهم: غسان العشي الرئيس السابق للمؤسسة، وشكري أبو بكر المدير التنفيذي للمؤسسة، وكل من مفيد عبد القادر،

وعبد الرحمن عودة، ومحمد المزين، بدعوى دعمهم "منظمة إرهابية" هي حركة حماس، وإن كانت هذه المؤسسات قد سبقت نشأة حماس، وخاضعة للقانون الأمريكي، وكانت جميع أموالها قانونية وأعمالها الضريبية سليمة، واستلمت رسائل شكر على عملها، ولكن وبظلم واضح صدرت بحقهم أحكام مشددة بالسجن، فرج الله كربهم وأعانهم على ما هم فيه!

ويشير أبو مرزوق إلى أن مؤسسات أخرى تمّ بناؤها، بعضها في قمة النجاح، ويرى أنه لا يحسن الكلام عنها، وبعضها لم ترَ النور كمؤسسة شيكاغو للأعمال الإعلامية. ويقول: "كانت هناك أعمال كبيرة أخرى لمجمل الفلسطينيين في الأعمال المتعلقة بالجالية في المساجد والمدارس والجامعات، وكل ذلك كان يجمعه عدد من الإخوة الأفاضل في مكتب التنسيق الفلسطيني، وفيه رؤساء المؤسسات العاملة، وإخوة آخرون". ولا ينسى أبو مرزوق الإشارة إلى المؤسسة الفنية التي كانت تجوب الولايات المتحدة لإحياء كل المناسبات الفلسطينية، وكذلك لجان لاستقبال ضيوف مؤتمرات وأنشطة وأعمال خيرية لفلسطين، وكذلك لجنة لرعاية الطلاب الفقراء ومتابعة دراستهم، وهي أعمال لم تعهدها الساحة الأمريكية من قبل ولم يُكتبَ لمعظمها الاستمرار بسبب أحداث 2000/9/11.

### تنظيم بلاد الشام:

تمّ دمج التنظيم الفلسطيني والأردني وأصبح للتنظيم الجديد مجلسٌ شورى واحد، ومكتب تنفيذي واحد. وهو عمل دعت إليه الضرورة، حيث إن ازدواجية التنظيم بسبب الجنسية لم تكن أمراً عملياً في معظم بلاد الخليج ذلك أن الجسم التنظيمي أساسي للفلسطينيين.

أصبح المركز الجديد في عمان. وكان هناك قسم فلسطين برئاسة الأمين العام للجماعة، ولكن هذا القسم لم يعد عملياً في متابعة الداخل الفلسطيني، وتطورات القضية الفلسطينية. لذلك تم إنشاء ملف جديد وتم إسناده إلى د. خيرى الأغا، وهو نفسه الذي كان يرأس التنظيم الفلسطيني، وصاحب المشروع الوحدوي بين التنظيمين. وكان الأغا يرأس اللجنة التأسيسية للجامعة الإسلامية بغزة. وكان له الفضل بعد الله في وحدة تنظيم بلاد الشام، وإنشاء الجامعة الإسلامية.

وَعُقدَ مؤتمرٌ عامٌّ للإخوان في بلاد الشام (الأردن وفلسطين) سنة 1983 في عمّان، وحضرته قيادات الداخل والخارج، وكوكبة من النشطاء من الكويت، والسعودية، والأردن، ودُعي أبو مرزوق للمشاركة في هذا المؤتمر غير أنه اعتذر عن الحضور. وانبثق عن هذا المؤتمر ذلك الملف الذي تطور لاحقاً إلى جهاز فلسطين؛ والذي تولاه د. خيرى. وكان الملف قد بدأ بأعضاء لجنة فلسطين في عمّان، أو بعضهم، ومعهم بعض الإخوة من الكويت والسعودية بالإضافة لأبو مرزوق. وكانت جُلّ أعمال الملف المذكور أعمالاً خيرية لدعم الداخل ومؤسساته الناشئة، واتحادات طلابية تحت مسمى الروابط في الغرب، والاتحاد الإسلامي في أمريكا الشمالية. وعقد أول مؤتمر لهذه الروابط والاتحادات سنة 1984 في لندن بالإضافة إلى التخطيط الواعي لانطلاق عمل فلسطيني شامل.

بدأ في هذه الفترة تجميع العمل الفلسطيني الذي انطلق في الخارج، وكان هناك دوافع قوية لهذا الانطلاق:

1. تهميش القضية الفلسطينية ومحاولات إنهاؤها.
2. ما حدث من اجتياح صهيوني للبنان وحجم القتل بين الفلسطينيين، والمجازر التي ارتُكبت في مخيمي صبرا وشاتيلا، وبعد ذلك حصار المخيمات، الذي بلغت قسوته حدّ تناول البعض الحشائش، فيما تناول بعض آخر القطط والكلاب. وتم تشتيت الفلسطينيين بعد الرحيل من لبنان إلى السودان، وتونس، واليمن، والعراق في رحلة نحو المجهول.
3. الاندفاع غير المعقول نحو تسوية سياسية، وإرهاصات الحلول السلمية التي تمّ الاستشعار أنها بداية التفريط بالقضية والشعب وحقوقه.
4. الاحتلال الجاثم على كل الأرض الفلسطينية والمقدسات وواجب الفلسطينيين نحو ذلك.
5. فرض حجم العمل الفلسطيني في الداخل والخارج على القيادة المسارعة للعمل المخطط والمبرمج خدمة للقضية.



يواصل أبو مرزوق: كانت مدينة فورت كولنز الصغيرة على خريطة جميع الزائرين لترتيبات متعلقة بالعمل الإخواني، أو بالعمل الفلسطيني، فقد زار تنظيم الإخوان في هذه المدينة الصغيرة العشرات من القيادات من مختلف الأقطار، وكذلك بعض أعضاء اللجنة التي شكّلت لترعى العمل الفلسطيني والمنبثقة عن المكتب التنفيذي لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن، وعلى رأسها الأخ الكبير سليمان حمد، وكان بصحبته الأخ أبو الوليد (خالد مشعل)، وكان الحديث في غالبه يدور حول الفلسطينيين القادمين من الكويت إلى أمريكا وموقف لجنة التنسيق منهم ومن تنظيم البعث، بالإضافة إلى الاتحاد الإسلامي لفلسطين وعمله وارتباطه بالعمل الطلابي العام... ومشاكل بعض الإخوة الفلسطينيين ومشاكل التنظيم مع الإخوة السودانيين.

### التحوّل إلى الكفاح المسلّح... مهمات في غزة:

أما في الأرض المحتلة—يواصل أبو مرزوق—فقد حدثت تطورات في منهج عمل الحركة الإسلامية بعد أن ترسّخت معظم المؤسسات التعليمية كالجامعة الإسلامية، والجمعيات الإسلامية، كالجمعية الإسلامية، والمجمع الإسلامي، وغيرها. وكذلك بدأ الحديث حول النقابات، والعمل الاجتماعي، وبدأت كوادر عديدة العودة لغزة بعد تخرجها، وبدأت الاحتكاكات تتسع تدافعاً حول مساحة كل فريق في العمل، وتحوّل التدافع الفكري إلى تدافع بالأيدي، والأدوات الحادة، وتكرس الوجود الإخواني بعد حالة الرفض من قِبَل الآخرين.

بعد أن أصبح الإخوان حقيقة، لم تفلح القوى الأخرى في تحجيمهم، وبدأ التفكير بالعمل المسلح، وتشكّلت لجنة برئاسة الشيخ أحمد ياسين نفسه، وعضوية عدد من الإخوة البارزين مثل: د. إبراهيم المقادمة رحمه الله، وأحمد الملح، ود. محمد شهاب، وعبد الرحمن تمران، وغيرهم، وقد تولت الإعداد للعمل المسلح من تدريب، وشراء أسلحة، وتكوين مجموعات مقاتلة، خارج القطر وتحديدًا في العراق.

وفي سنة 1984 تم القبض عليهم، وكانت الأحكام بالنسبة لهم قاسية، حيث تراوحت بين 8-14 عاماً، بعد "تجريمهم" بتهمة العمل على تدمير "دولة إسرائيل"، وإقامة دولة إسلامية. وقد أمضى جميع الإخوة المذكورين هذه

المحكوميات في السجون، باستثناء الشيخ أحمد ياسين الذي خرج سنة 1985 ضمن صفقة تبادل الأسرى التي أجرتها الجبهة الشعبية - القيادة العامة، حيث تمّ تبادل ثلاثة أسرى صهاينة بنحو 1,850 أسيراً فلسطينياً، في صفقة كانت غير مسبوقة، أجاد فيها المحاورون في القيادة العامة وأجبروا العدو على الإفراج عن هذا العدد ونوعية مميزة حقاً، وعاد الشيخ أحمد ياسين إلى القطاع أكثر قناعة بالعمل المسلح، وجلس سنة كاملة دون أن يعود للمكتب الإداري في القطاع تحسباً من إعادة اعتقاله من قبل الاحتلال. وبعد سنة 1986 عاد الشيخ إلى عضوية المكتب الإداري الذي كان يقوده آنذاك الأستاذ عبد الفتاح دخان حفظه الله.

وقد زار أبو مرزوق القطاع بعد خروج الشيخ من السجن، وجلس مع معظم المكاتب الفرعية للإخوان، وأعطى بعض الدورات للطلاب في الإدارة والتخطيط في المجمع الإسلامي في جورة الشمس وفي خان يونس، ويومها سأل الشيخ عن تجربة الاعتقال فوجده أكثر قناعة بالعمل العسكري مما كان عليه قبل الاعتقال. وقال: إن فترة الاعتقال وفّرت له فرصة للقاء بأعداد كبيرة من قادة المنظمات الفلسطينية من مختلف التوجهات، وكان يكتنّ تقديراً كبيراً لهؤلاء. وتعرف إلى تيار إسلامي داخل السجن من القرييين، ممن غيروا قناعاتهم، وأسسوا تكتلاً بدون مرجعيات خارجية، كان أبرزهم: جبر عمار، ومحمد أبو طير وآخرون، وكان موازياً لهذا الأمر خارج فلسطين وبدأ يتبلور بصورة جيدة.

### عمل دون كلل في أمريكا:

في أيلول/ سبتمبر 1984، انتقل أبو مرزوق من كولورادو إلى كولومبيا - رميزوري، وكانت بلدة جامعية فيها عدد كبير من الإخوة السودانيين، وكذلك الأخ أحمد يوسف، الذي كان يدرس الماجستير في الإعلام، ولكن أبو مرزوق لم يلبث أن غادرها إلى واشنطن، في جورج تاون، التي مكث فيها شهراً واحداً، ثم غادرها إلى لويزيانا واستقر به الحال فيها من بداية شتاء 1985، وحيث أقام في مدينة جامعية اسمها رستون، كان فيها عدد كبير من الطلاب، أغلبهم في مرحلة الدراسة الجامعية، وعدد قليل في الدراسات العليا. وبعد أن استقر به المقام فيها، وجد مشقة

في السفر منها إلى بقية الولايات لمتابعة الأعمال التنظيمية، لعدم وجود مطار فيها، وكان المطار الأقرب لها في مدينة مونرو، التي تبعد قرابة ساعة من رستون.

فور أن استقر أبو مرزوق في لويزيانا، سأل عن المسجد، حيث وجد هناك غرفة واحدة بمساحة 20 متراً تُستخدم كمسجد، فتم استئجار مكان أوسع استُخدم كمسجد، وبعد ذلك تمَّ شراء قطعة أرض وبناء مسجد وأماكن لسكن الطلاب، ومدرسة تدرس اللغة العربية والعلوم الإسلامية للصغار في فترة نهاية الأسبوع، وتم تجنيد العديد من الطلاب وأساتذة الجامعة في المدينة نفسها، التي يقول إنها أصبحت بفضل الله نقطة نشاط وجذب للعمل الإسلامي.

ولا يذكر أبو مرزوق أنه قضى إجازة أسبوعية واحدة في هذه المدينة، على مدى السنوات الست التي قضاها فيها (1986-1992). ويقول: كانت الاجتماعات المطلوب حضورها تُعقد في نهاية الأسبوع، وانقسمت بين لقاءات قيادة الإخوان في الولايات المتحدة، وحضور المؤتمرات التنظيمية، وزيارة المناطق التنظيمية، واللقاء بالقسم السياسي الذي كان يضم في عضويته د. وليد الوهيب، ود. حسين القزاز، ود. أحمد يوسف، وآخرين، كما كانت تتم لقاءات لجنة التنسيق لبلاد الشام، وكان الإخوة الفلسطينيون من جماعة الإخوان هم الأكثر عدداً على الإطلاق، حيث كان عدد المنضوين في هذا التنظيم يتراوح ما بين 350-400 عضو، يليه تنظيم بلاد الشام، وعدد الجنسيات الموجودة في التنظيم تزيد عن 40 جنسية.

وكانت انتخابات الجماعة مقررة نهاية 1986، فانتُخب فيها د. أحمد القاضي مسؤولاً، وموسى أبو مرزوق نائباً، وضمت لجنة القيادة تسعة من الإخوة، هم: عماد أبو دية، وطارق السويديان، وعمر الصوباتي، وعبد الرحمن التلب (سوداني) رحمه الله، وبسام عثمان، وقدور السعيد، ومحمد الجليلي، وعبد الرحمن أمين.

إلى ذلك، كانت لقاءات المؤسسات الشعبية والسياسية والفكرية التي تمَّ إنشاؤها، ويقول أبو مرزوق: "لعل الانفتاح في العمل، وقانونية التواجد، واستخدام الأجهزة الحديثة من هاتف وفاكس ساعد على ترتيبات العمل في أثناء الأسبوع والذي كنت أقضي نهاراته في الجامعة، أو في العمل الإسلامي المحلي، أما الليل فقد كان مخصصاً للمتابعات الهاتفية المتواصلة".



## إرهاصات الانتفاضة:

في الأثناء، كانت تتبلور في فلسطين مقومات العمل المقاوم ممثلة سواء بـ "خلية الجهاد" التي تمّ الإلقاء القبض عليها، والتي شكّلها الشيخ أحمد ياسين، واستشهاد جواد أبو سلمية وصائب ذهب من أبناء غزة في بيرزيت بالضفة الغربية سنة 1986، وتلاها استشهاد "مجموعة الجهاد" في حي الشجاعية 1987/10/6.

في 1987/12/6 صدمت سيارة نقل إسرائيلية كبيرة، سيارة صغيرة كانت تقل أربعة عمّال من جباليا، فاستُشهد الأربعة، وكان الحادث مريعاً، مما أثار حفيظة الشارع الفلسطيني، وقبلها بشهرين كانت معركة الشجاعية بين أبطال الجهاد الإسلامي الذين تمكنوا من الهرب من سجن غزة المركزي، حيث استُشهد 4 منهم؛ زهدي قريقع، ومحمد الجمل، وسامي الشيخ خليل، وأحمد حلس، ومصباح الصوري الذي استُشهد في مكان آخر، فخرجت مسيرة شعبية تحمل نعوش أربعة؛ وهم طالب أبو زيد (المغازي)، وشعبان سعيد أحمد نبهان (جباليا)، وعصام محمد حموده (جباليا)، وعلي محمود إسماعيل (المغازي)، وستة شهداء آخرين إلى مخيم جباليا ليدفنوا في مقبرة المخيم. ومنها انطلقت الجماهير إلى مواجهات مع مركز شرطة الاحتلال في جباليا، الذي تمكنت من اقتحامه والسيطرة عليه. وبدورهم، تحصن الجنود داخل الغرف وأخذوا ينادون على الشباب بواسطة المايكروفون Microphone، وطالبوهم بالتفرق، غير أن أحد الشباب اعتلى مركز الشرطة حيث أزال العلم الإسرائيلي، ورفع العلم الفلسطيني بدلاً عنه، وقد أصيب هذا الشاب، فهدرت الجماهير بالتكبير والتهليل، وحاول شاب آخر الصعود، فأصيب هو الآخر، وتمّ إثر ذلك استهداف الجماهير حيث أصيب العشرات، ونقلت سيارات الأجرة المصابين وفرضت حالة منع التجوال، ودخلت المدرعات والدبابات ومئات الجنود أرض المخيم، وفي الصباح تمّ مناشدة الناس التبرع بالدم، فتجمع المئات، وبدأت المواجهات من جديد لليوم الثاني منطلقة من مسجد المخيم.

وفي 9 كانون الأول/ديسمبر، قدّم المخيم أول شهداء الانتفاضة المباركة، الشهيد حاتم السيسي، الذي تمّ استهدافه بعد إلقاء زجاجة حارقة على سيارة عسكرية للاحتلال، وانتفض المخيم عن بكرة أبيه.

وأصدرت الحركة الإسلامية يوم 14/12/1987 أول بياناتها، وهو التاريخ الذي اعتُبر لاحقاً تاريخ انطلاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

وبعدها سقط شهيد في رفح، ثم شهيد في خان يونس، وكان البيان موقعاً بالأحرف (ح م س)، وأعضاء المكتب الذين شكلوا الحركة وأطلقوا البيان وقرروا انطلاق فعاليات الانتفاضة هم:

- الشيخ أحمد ياسين.
- عبد الفتاح دخان.
- د. إبراهيم المقادمة.
- صلاح شحادة.
- محمد حسن شمعة.
- المهندس عيسى النشار.
- د. عبد العزيز الرنتيسي.

### جهاز فلسطين في الخارج:

كانت الاتحادات الطلابية في الكويت، وبريطانيا، وأمريكا، ولجنة فلسطين في الأردن، ولجنة التخطيط في الكويت، ومكتب السعودية، والمكتب التنفيذي في عمان، الأدوات الأساسية لقسم فلسطين، والذي بدأ بتجميع القيادات الشابة في تنظيم بلاد الشام، واعتمد الأسلوب العلمي والتخطيط المنهجي في إدارة برامج التنفيذ، واتخذ من التطور الطبيعي للأحداث منهجاً لتكريس واقع جديد في العمل الفلسطيني. ولقد بدأ بأدوات عدة كالإعلام، والعمل الخيري، والاتصال، والتدريب، والتنظيم.

وقد كان لأبو مرزوق تحوُّف مستقبلية، وأرسل برسالة للمراقب العام الأستاذ عبد الرحمن خليفة رحمه الله حول مستقبل تنظيم بلاد الشام في ظل استقطاب معظم الشباب الفاعل للعمل الفلسطيني، وتحذيره من المستقبل، إلا أنه أرسل له برسالة حملها د. خيرى إلى الولايات المتحدة، أبلغ فيها أبو مرزوق بالعمل مع الأخ أبو أسامة خيرى الأغا في جهاز فلسطين، ومطمئناً على مستقبل التنظيم وثقته بالدكتور خيرى الأغا.

وقد التزم أبو مرزوق ببذل الجهد في هذا السياق. وحينما كثرت الأعمال تمّ تخيير أعضاء القيادة في الجهاز بالبقاء في هذا الموقع أو الاستقالة من التنظيم، وتم استثناء أبو مرزوق من هذا التخيير. ويشير أبو مرزوق إلى العلاقة المميزة التي ربطته بالدكتور خيرى الأغا، ويقول: إنه كان يعدّه بمقام الوالد، وقد ارتبط معه بعلاقة ممتدة من أواسط السبعينيات وحتى وفاته.

كان العمل في الخارج يسير بوتيرة بطيئة وسابقة للأحداث في قطاع غزة، ومن ثمّ في الضفة حيث تمّ سنة 1986 تشكيل قيادة للعمل الفلسطيني "جهاز فلسطين" من جيلين: الشيوخ الذين كانوا في غالبهم أعضاء في لجنة فلسطين، والشباب وهم من الكويت، السعودية، والولايات المتحدة، وبريطانيا، وكان المسؤول هو نفسه الأخ د. خيرى الأغا، وكان أبو مرزوق نائباً له. وفي الوقت نفسه جرت انتخابات في الولايات المتحدة وتولى أبو مرزوق المسؤولية عن تنظيم الإخوان المسلمين في الولايات المتحدة في وقت سابق.

وُزعت الأعمال في قيادة جهاز فلسطين بين الأعضاء مع بداية التسعينيات من القرن الماضي، وكان نصيب الشباب مجمل الأعمال التنفيذية من عمل خيرى وسياسي وجهادي وإعلامي، وتولى أبو مرزوق نائباً أول لمسؤول الجهاز بالإضافة لمسؤولية العمل السياسي، وعمل في هذه الدائرة عدد متميز من الإخوة كان يقع على عاتقهم مسؤولية الدائرة السياسية، ومعظم العبء السياسي والعلاقات الدبلوماسية، منهم: محمد نزال، وسامي خاطر، وأحمد يوسف، وج. أ.، ود. محمد أكرم العدلوني، ود. محمد عباس، وياسر بشناق وآخرون، وكان هذا الفريق في معظمه قد أقام في الولايات المتحدة في ولاية فرجينيا، حيث كان أبو مرزوق قد انتقل إليها بعد أن أنهى الامتحان الشامل للدكتوراه، ولم يتبقّ له إلا تقديم ومناقشة الرسالة وهي لا تحتاج البقاء في رستون - لويديانا. وهكذا أصبح مدير العمل السياسي في الحركة من ولاية فرجينيا، بالإضافة إلى المسؤولية العامة للإخوان المسلمين في أمريكا.

## تشكيل قيادة بديلة في غزة:

في الأثناء أسرت إحدى المجموعات القتالية جنديين إسرائيليين، وقد تشكلت هذه المجموعة بقيادة الأخ محمد الشرايحة وعضوية كل من الأخوين محمد نصار، ومحمود المبحوح، الذي استشهد لاحقاً في دبي على أيدي الصهاينة؛ انتقاماً من عملية خطف وقتل الجنديين إيلان سعدون Ilan Sa'adon، وأفي ساسبورتس Avi Sasportas. وعلى إثر ذلك نفذت القوات الصهيونية عملية اعتقالات شملت أكثر من 80% من كوادر الحركة، وجميع قياداتها، فقرر أبو مرزوق إغاثة إخوانه.

حزم حقائبه على الفور، وتوجه إلى قطاع غزة عن طريق معبر رفح البري. وخلال عشرة أيام من وجوده في قطاع غزة أعاد تشكيل المكتب الإداري من الصفرين الثاني والثالث، برئاسة الأستاذ سيد أبو مسامح من رفح، وسمير مخيرز من خان يونس، وسفيان أبو سمرة من غزة، وعماد الفالوجي من جباليا. وتم ربط العمل مركزياً بالضفة الغربية، حيث كان المسؤول في ذلك الوقت الأستاذ حسن القيق رحمه الله، الذي يصفه أبو مرزوق بأنه "أخ كريم قاد العمل في الضفة الغربية وكان مسؤولاً عن المكتب المشترك بين الضفة والقطاع، وصاحب رأي سديد، وعزيمة من حديد، ومن الرجال المعدودين في العمل التنظيمي، والأمني رحمه الله رحمة واسعة".

ويقول أبو مرزوق إنه زاره في مدرسة اليتيم العربي لترتيب أوضاع الضفة، وربطها مع غزة، وهو ما كان، وفي هذه الزيارة تم تقسيم الأعمال الأساسية في المكتب الإداري في القطاع وفصل العمل العسكري عن الأعمال الأخرى، وحينها أطلق على المجموعة الأولى كتائب عز الدين القسام. ويقول أبو مرزوق: "ولم يعلم الإخوة بالتشكيل العسكري في قيادة الحركة إلا لاحقاً باستثناء د. خيري، وأطلقنا عليه كتائب عز الدين القسام بعيداً عن الاسم الذي كان شائعاً في ذلك الوقت كتائب الشهيد عبد الله عزام".

يتابع أبو مرزوق: ”تم إرسال الأخ محمد صلاح (رحمه الله وأجزل له العطاء بما قدم) إلى الضفة الغربية في أواخر تموز/ يوليو 1992، وتم الاتصال بالأخ صالح العاروري، لعمل تشكيلات مقاومة ولبدء العمل في كتائب عز الدين القسام في الضفة الغربية“.

وكان أبو مرزوق يعطي ”الإخوة شيكات موقعة للإنفاق على العمل من حسابه الخاص في الولايات المتحدة“ وكانت تُعتبر من قبل التجار الإسرائيليين فرصة لتهرب الأموال إلى حسابات في أمريكا.

ويشير أبو مرزوق إلى أن العمل العسكري أصبح يتم بعد هذا التاريخ في الضفة والقطاع تحت مسمى كتائب الشهيد عز الدين القسام، وأنه اختار هذه التسمية بهدف الابتعاد عن التنازع الميداني عند إعادة التشكيل، وشاء الله أن يترسخ هذا الاسم وينتشر ويستمر، وانتهى العمل بالاسم الأول.

### خطورة أبو مرزوق... وجهة نظر أمنية إسرائيلية:

أبو مرزوق لا يسهب في التحدث عن الدور القيادي الذي كان يمارسه في أثناء إقامته في الولايات المتحدة، غير أن كتاب ”حماس، من الإيمان بالله إلى طريق الإرهاب“ لمؤلفيه الإسرائيليين، روني شكيد Ronni Shaked وابيبي شابي Aviva Shabi، يتحدث بتفصيلات مستقاة من مصادر التحقيق مع معتقلي حماس لدى الأجهزة الإسرائيلية عن كيفية إدارة قيادة حماس في الولايات المتحدة لأعمال ال”إرهاب“، على حدّ تعبيرهما في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

ويمكن تلخيص محتويات كتاب شكيد وشابي في الصفحات التالية (144-155) من هذه الذكريات، بأن د. موسى أبو مرزوق (أبو عمر) كان يتولى القيادة الفعلية لحركة حماس من مقر إقامته في ولاية فرجينيا الأمريكية، وأنه هو الذي كان يعين القادة العسكريين للحركة، ويتولى إعداد البيانات السياسية وكذلك البيانات المتعلقة بالعمليات العسكرية، ثم يكلف محمد صلاح (أبو أحمد) بمهمة إرسالها عبر الفاكس إلى قيادات الداخل التي كانت تتولى توزيعها.

ويضيف كتاب شكيد وشابي إنه في كنف الديمقراطية الأمريكية احتفظت حركة المقاومة الإسلامية بقيادة نشطة أرسلت أوامر ميدانية لرجالها في "المناطق"<sup>1</sup>، بل وأقامت على أرض الولايات المتحدة الأمريكية معسكرات تدريب، تمّ فيها تأهيل فلسطينيين لتنفيذ عمليات "تخريبية" ضدّ "إسرائيل". لقد بدأت النشاطات العسكرية لحركة حماس في الولايات المتحدة سنة 1988، وذلك في إطار منظمة أطلق عليها "فلسطين" أُقيمت في نهاية سنة 1987، بموازاة إقامة حماس، على يد فلسطينيين من أعضاء حركة الإخوان المسلمين في الولايات المتحدة. وقد كانت مهمتها تجنيد الفلسطينيين كافة أنصار الإخوان المسلمين في الولايات المتحدة لتقديم دعم عسكري وسياسي للنضال ضدّ الاحتلال الإسرائيلي في المناطق. ومن الناحية العملية، فقد كانت "فلسطين" ذراعاً عسكرياً للإخوان المسلمين في الولايات المتحدة، وقد وقف على رأس هذه المنظمة د. موسى أبو مرزوق الملقب بـ "أبو عمر"، الذي أصبح لاحقاً رئيساً للمكتب السياسي لحركة حماس. أما النشاطات العسكرية فقد نسقها محمد صلاح الملقب بـ "أبو أحمد" من سكان شيكاغو، والذي اعتُقل في "إسرائيل" (خرج من السجن الإسرائيلي في 1997/11/11، وتوفي لاحقاً في آذار/ مارس 2016) مع فلسطينيين آخرين؛ عزت منصور ورأفت رابيه. وقد أدار صلاح اللجنة الأمنية لمنظمة "فلسطين"، والتي كانت مهمتها تجنيد مرشحين للعضوية في المنظمة، وتصنيفهم حسب مؤهلاتهم المهنية، وتأهيلهم للقيام بـ "أعمال تخريبية". وقد كلف محمد صلاح بمقابلة الراغبين بالانضمام إلى المنظمة، وجمع معلومات شخصية عن المرشحين، وتصنيفهم حسب مجالات تخصصهم من قبيل الخبرة في إنتاج مواد سامة، وإعداد عبوات ناسفة يتم تفجيرها عن بعد، وإنتاج مواد متفجرة كيماوية. ولأجل اختبار قدرات المرشحين قام صلاح ورأفت رابيه بتوزيع مهمات تنفيذية. وقد نجح المرشحون في صناعة أجهزة لتشويش مكالمات هاتفية، وساعات توقيت، بل وسلموا محمد صلاح 14 ساعة كهذه.

<sup>1</sup> عادة ما يستخدم الإسرائيليون مصطلح "المناطق" للإشارة إلى فلسطين المحتلة 1967؛ أي الضفة الغربية وقطاع غزة.

وبعد العثور على عشرة فلسطينيين أمريكيين مؤهلين للعمل العسكري، جمعهم محمد صلاح في نطاق معسكر تدريب خاص كُرِّس لإعداد عبوات ناسفة. وقد جرت الدورة بإشراف مدرّبين ذوي تأهيل عسكري، وفي نطاقها قام المتدربون بإعداد قنابل وحاولوا تفجيرها، وكافة هذه النشاطات تم إبلاغ موسى أبو مرزوق عنها من قِبَل محمد صلاح.

نشاطات أبو أحمد (محمد صلاح) السرية استمرت في الولايات المتحدة خلال السنوات اللاحقة، حيث عمل على تجنيد شبان للانخراط في صفوف حماس وعلى تعبئتهم أيديولوجياً وتأهيلهم عسكرياً. أحد هؤلاء الشبان كان الطالب الجامعي ناصر عيسى الهدمي من بيرزيت.

ويواصل الكتاب أنه في شهر حزيران/ يونيو 1990 وصل الهدمي إلى مطار شيكاغو، وكان في انتظاره هناك رجل في مقتبل العمر قدم نفسه كمثل عن أبو أحمد. جمعا عدداً آخر من الشبان الذين وصلوا هم أيضاً إلى المطار، ومن هناك سافروا بثلاث سيارات إلى غابة حرجية تقع بالقرب من بحيرة صغيرة غير بعيدة عن المدينة. في الغابة انتصبت عدة أكواخ خشبية، فيما 25 طالباً جامعياً فلسطينياً يتلقون دراستهم في الولايات المتحدة تحلقوا في المكان، وفور وصوله إلى المعسكر أدرك الهدمي أن الأمر ليس مجرد مخيم صيفي، فعوضاً عن ممارسة نشاطات رياضية أو نشاطات ثقافية، استمع المتدربون لمحاضرات عن الدين الإسلامي وعن أهداف حماس، وتعلموا كيفية إعداد سيارات ملغومة وعبوات ناسفة.

هذا المعسكر أُقيم خلال نهاية الأسبوع من يوم الخميس وحتى يوم الأحد، وأشرف عليه محمد صلاح، بمساعدة خمسة مرشدين، كذلك حضر صلاح دورة خاصة عُقدت في أحد الأكواخ خلف باب مغلق، حيث تلقت مجموعة تتألف من ثلاثة متدربين درساً في التخريب.

المدرّب، وهو ليبي أسمر في الثلاثين من عمره ومنتزج من أمريكية، علم المتدربين على كيفية إعداد سيارة ملغومة. وبعد الانتهاء من التدريب يوم الأحد، نُقل ناصر الهدمي إلى مطار شيكاغو، ومن هناك عاد إلى منزل شقيقه في مدينة كانساس Kansas. وبعد عدة أيام من ذلك، بدأت تصل إلى البيت الكائن في شارع

”فريري غلان 2230“ طرود بريدية تضمنت مقالات مطبوعة حول مواضيع سياسية، ونشرات معلومات عن حماس، ومواد عن الدين الإسلامي، المرسل كان محمد صلاح.

في تشرين الأول/ أكتوبر 1990 اتصل محمد صلاح بناصر الهدمي داعياً إياه للمشاركة في مؤتمر إسلامي كبير سينعقد في شهر كانون الأول/ ديسمبر في مركز المؤتمرات بكانساس. وكان ذلك المؤتمر السنوي الثالث للاتحاد الإسلامي لفلسطين.

وخلال أيام المؤتمر دعا محمد صلاح عشرين شاباً إلى سلسلة لقاءات سرية عُقدت في إحدى قاعات فندق رامادا كانساس. وقد أبلغ كل واحد من المشاركين بصفة شخصية، أن بمقدوره الدخول للقاعة، فقط عن طريق ”شيفرة“ متفق عليها سلفاً. فعندما يسأل الحارس على المدخل: ”أين المسجد؟“، كان يتعين على المشترك الإجابة: ”في الأقصى“. وحينها كان يُسمح له بالدخول إلى القاعة.

أحد المدربين كان إبراهيم المزين، فلسطيني في الخمسين من عمره، وأصله من قطاع غزة. المزين قابل الشبان الذين تم اختيارهم للمشاركة في اللقاء السري، وكانوا جميعاً من سكان المناطق المحتلة سنة 1967، وقد تم انتقاؤهم بموجب النماذج التي جرى تعبئتها في مخيمات الصيف؛ وذلك كي ينفذوا عمليات لتصعيد الانتفاضة، هكذا روى الهدمي في وقت لاحق، بعد ذلك قام رجل يناهز الـ 35 من عمره بتوزيع المشاركين ضمن أربع لجان: لجنة عسكرية، ولجنة أمنية، ولجنة ثقافية، ولجنة سياسية.

ناصر الهدمي عُيّن مع خمسة شبان آخرين عضواً في اللجنة السياسية التي ترأسها نجيب الغوش، وهو فلسطيني أقام لسنوات طويلة في لبنان، وكان يتلقى دراسة جامعية للحصول على شهادة الماجستير.

وبعد شهر، وفي ظهر يوم سبت عقد اجتماع لأعضاء اللجنة السياسية في فندق رامادا إن في المدينة، وقد حضر الاجتماع كل من نجيب الغوش، ونبيل أبو شرح وهو طالب جامعي من نابلس، وطالب آخر يدرس كمبيوتر (حاسوب) في نبراسكا



يُدعى وليد وأصله من نابلس، وشاب رابع يُدعى وائل كان يدرس في أوكلاهوما، وشاب من أصل ليبي يقيم في تكساس، هذا الاجتماع أداره محمد صلاح.

نجيب الغوش تحدث (حاضر) للحضور عن مواضيع سياسية مختلفة، وعن أساليب التحقيق التي تتبعها المخابرات الإسرائيلية. وفي النهاية جاء دور "التعميد" حيث قدمت سلسلة محاضرات عن أنواع القنابل اليدوية، والمواد المتفجرة، والعبوات الناسفة. "هذه هي البداية فقط"، قال الغوش لمستمعيه، "في اللقاءات القادمة سنشرح لكم بالتفصيل عن الوسائل القتالية؛ وذلك بهدف الانتقال من رشق الحجارة إلى استخدام السلاح الناري، والعمل باسم حركة حماس التي ننتمي إليها".

وعند منتصف الليل أجمل محمد صلاح اللقاء: "هدف اللقاء كان تعليم جميع أعضاء اللجان كيفية إعداد عبوات ناسفة، حتى يتمكن كل واحد منهم من تنفيذ هجمات في منطقة سكنه في المناطق المحتلة عام 1967".

في شباط/ فبراير 1992 وبعد أن نفذت مدخراته، عاد الهدمي إلى القدس، وفي آذار/ مارس 1993 وقبل أن يتمكن من تنفيذ أي عملية "تخريبية" اعتقل الهدمي على يد جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) Israel Security Agency—ISA (Shabak). وقد نُقلت المعلومات التي أدلى بها خلال التحقيق معه بأكملها للجهات المعنية في الإدارة الأمريكية.

قبل شهرين من ذلك في منتصف كانون الثاني/ يناير 1993 وصل محمد صلاح إلى المناطق، قبل مغادرته الولايات المتحدة عرض عليه موسى أبو مرزوق رئيس المكتب السياسي وعزت منصور من كبار قادة الحركة تولي مسؤولية العمل العسكري لحماس في الضفة. صلاح رفض هذا الاقتراح، إلا أنه أبدى استعداداه للقيام بمهام تتعلق بالمجال العسكري.

في 25 كانون الثاني/ يناير، اعتُقل صلاح على يد الشاباك، وبالتحقيق معه تبين أنه عمل قبل قدومه على تأهيل طاقم خاص كان من المقرر له القيام بتنفيذ هجمات خاصة في المناطق المحتلة. هذا الطاقم المقلص ضمّ ناشطين من بينهم رزق صلاح، وشريف رضوان، وشاب ثالث أصله من قطاع غزة. وقد تلقى هؤلاء تدريبات

عسكرية في الولايات المتحدة بما في ذلك تدريب على إنتاج صواعق—العنصر الرئيسي—في إعداد عبوات ناسفة. كان من المقرر أن يصل الطاقم إلى الضفة الغربية في شهر شباط/فبراير 1993، إلا أن موسى أبو مرزوق أجّل سفر الطاقم مطالباً أعضائه بتحسين مستوى أدائهم. وقد وضع اعتقال محمد صلاح حداً لهذه الخطة كلها.

في أواخر سنة 1990 ومطلع 1991 جرت حملة اعتقالات جديدة طالت نشطاء حماس في الضفة، وأدت إلى انهيار البنية التنظيمية للحركة. وحسب تقدير القيادة في الولايات المتحدة، فقد نتج الانهيار عن فشل عمليات التوجيه لأقسام الحركة المختلفة، إذ اتضح أن اعتقال عددٍ من الناشطين على يد أجهزة الأمن الإسرائيلية كان كافياً من أجل كشف الشبكة كلها.

وقد تقرر في قيادة الحركة أن تكون (من ذلك الوقت فصاعداً) في كل منطقة من مناطق الضفة "قيادة مستقلة" ترتبط مباشرة مع قيادة الخارج. مبدأ السرية رُوعي عن طريق إيجاد ارتباط مباشر بين قادة المناطق وبين القيادات في الولايات المتحدة، وفي بريطانيا، وفي الأردن، وهكذا وهنت البنية المركزية باستثناء الجهاز العسكري الذي واصل العمل كجسمٍ قطري على مستوى البلاد.

اتصالات القيادة في الولايات المتحدة مع الناشطين في المناطق جرت عن طريق الهاتف أو الفاكس، فتحت تصرف كل قائدٍ منطقة وضع جهاز فاكس نُقل إليه بواسطة من الولايات المتحدة التعليمات المتصلة بالنشاط، والبيانات المُعدّة للتوزيع، والتوجيهات المتعلقة بإيصال الأموال.

وبين فترة وأخرى كان يصل موفد من الولايات المتحدة للوقوف عن كثب على النشاطات الجارية وللمساعدة في جهود البناء التنظيمي وأحياناً لتعيين مكلفين جدد. وعندما كانت تنشأ حاجة للاطلاع على ما يجري في الميدان من مصدر مباشر، كان يطلب من قائد المنطقة أو القضاء التوجه إلى الولايات المتحدة لمقابلة أعضاء القيادة.

أحد هؤلاء المسافرين كان د. محمود الرمحي، قائد حماس في منطقة وسط الضفة (القدس، ورام الله، وبيت لحم، وأريحا). وهو من مواليد البيرة سنة 1963، درس الطب في جامعة روما، وانتُخب هناك رئيساً لاتحاد الطلبة المسلمين. في أيلول/سبتمبر 1989، عاد الرمحي إلى مدينته البيرة وفتح عيادة خاصة، وبدأ العمل كطبيب. وبعد مرور عام جند إلى صفوف حركة حماس عن طريق صهره محمد كاظم صوالحة، الذي كان وقتها يعمل سراً. وفي أعقاب حملة الاعتقالات لناشطي حماس، تحوّل صوالحة إلى مطلوب. عندما التقاه الرمحي بعد عودته من إيطاليا كان صوالحة يطلق لحية وشارباً، وفي لقائهما التالي غير صوالحة مظهره حيث حلق لحيته وشاربه.

وبحكم تجربته السياسية عُيّن الرمحي في منصب قيادي في الحركة، وقد أعطى صوالحة صهره صورة وافية عن أساليب وطرق تنظيم الفعاليات ونقل الأموال، والتنسيق مع ناشطين آخرين، والأهم من ذلك، عن الاتصال مع القيادة في المسيسيبي بالولايات المتحدة، حيث يقيم عبد الحليم الأشقر، وأصله من قرية صيدا قرب طولكرم، قال صوالحة للرمحي إنه المسؤول عن جهاز نشاطات حماس في المناطق، ”عليك إجراء اتصالات هاتفية وعبر الفاكس معه، من خلاله ستحصل على بيانات وأموال وأوامر عمل“. وقدّم صوالحة للرمحي مبلغ خمسة آلاف دولار لكي يشتري بها جهاز فاكس ويضعه في بيته.

صيغة البيانات التي وزعتها حماس في الضفة تسلمها د. الرمحي مباشرة من سبرنغفيلد - فيرجينيا، مقر القيادة في الولايات المتحدة. وأرسل أحمد يوسف إلى د. الرمحي بالفاكس صيغة بيانات حماس. وأضاف الرمحي ”وهذا ما حصل أيضاً في مناطق أخرى“. وعن طريق الفاكس أرسل د. الرمحي للولايات المتحدة تقارير شاملة عن نشاطات حماس في منطقة الوسط. وقد تضمنت هذه التقارير معلومات عن نشاطات الدعوة (الوعظ الديني)، وأسماء ومجندين جدد للحركة، وتقريراً مفصلاً عن أوضاع الخلايا، وعن معتقلين وموقوفين رهن التحقيق، وعن مصاريف مالية.

وفي حزيران/ يونيو 1991 اتصل الأشقر بالدكتور الرمحي في بيته وطلب منه الحضور للقاء مع قادة الحركة في الولايات المتحدة، بعد ذلك سافر الرمحي إلى نيويورك. وفي المطار كان الأشقر في انتظاره؛ "عليك التوجه إلى الولايات المتحدة إلى (تنييسي Tennessee). هناك ستقابل أبو عمر، إنه ينتظرك"، قال للدكتور الرمحي، وأعطاه تذكرة سفر بالطائرة.

عند وصوله إلى تنييسي تم اصطحابه (الرمحي) إلى منزل أحد نشيطي الحركة، وهناك التقى الرمحي بالدكتور موسى أبو مرزوق، وقدم له تقريراً مجملًا عن نشاطات حماس في منطقة الوسط. أبو مرزوق دون أمامه فحوى الحديث، مبدياً اهتماماً بوضع حماس في المنطقة وبالعلاقاتها مع فصائل منظمة التحرير الفلسطينية. د. الرمحي قدم تقريراً مماثلاً إلى عبد الحليم الأشقر. وبعد مرور عشرة أيام عاد الرمحي إلى البيرة.

بعد عودته بفترة وجيزة تلقى د. الرمحي بلاغاً من الأشقر تحدث عن تغيير قيادي في الولايات المتحدة. فالمسؤول عن النشاط هو من الآن أبو أحمد. قيل للرمحي: "عليك أن تتصل به عن طريق الفاكس والهاتف. رقم تلفونه في فيرجينيا هو (70212412063) ورقم الفاكس (7932377712)، هو سيقوم بالاتصال بك".

في نيسان/ أبريل 1992 سافر د. الرمحي مرة أخرى إلى الولايات المتحدة. وفي محاولة لإضفاء طابع سياحي على الرحلة توقف الرمحي في إيطاليا. وفي مطار نيويورك كان في انتظاره معين شبيب، وهو نشيط بارز في حماس، كان قد غادر المناطق، ومن بيت شبيب اتصل الرمحي بالدكتور موسى أبو مرزوق، وحدد معه لقاء في صبيحة اليوم التالي بواشنطن.

وفي لقاء واشنطن شارك، إضافة إلى أبو مرزوق، ستة من كبار قادة حماس في الولايات المتحدة من بينهم أحمد يوسف الذي اعتُبر "مؤدج (منظّر) الحركة". وقد تناول اللقاء علاقات حماس مع المنظمات الأخرى، والانتخابات المقبلة للرئاسة الأمريكية، والحكم الذاتي الفلسطيني في المناطق.

هذا اللقاء حضره أيضاً محمد صوالحة الذي وصل من لندن من أجل تنسيق العمل العسكري مع رؤساء القيادة. صوالحة ويوسف أبلغا د. الرمحي بأنه تمّ تعيين بديل له خلال فترة غيابه عن المناطق، هو ماجد أبو خديجة، من نشيطي حماس في منطقة رام الله.

وطبقاً لتوجيهات المسؤولين عنه، فتح د. محمود الرمحي حساباً باسمه في فيرست وسكاونسن بنك First Wisconsin Bank في شيكاغو. هذه الخطوة استهدفت تسهيل إيصال الأموال من الولايات المتحدة إلى المناطق. فحتى ذلك الحين كانت الأموال تُرسَل بواسطة أحد أفراد الحركة من البيرة، والذي كانت مهمته استلام الأموال من الصرافين وتوزيعها حسب تعليمات القيادة. أما بعد ذلك فقد أخذت الأموال تصل مباشرة إلى د. الرمحي. أما طريقة وصولها فهي: كان يعطى الصراف في الضفة حوالة من حسابه بالبنك في شيكاغو ويحصل مقابلها على أموال نقداً. وهكذا كان يتسلم في كل شهر نحو عشرة آلاف دولار. ولغاية اعتقاله في كانون الثاني/يناير 1993، في أعقاب قتل جندي حرس الحدود نسيم توليدانو Nissim Toledano كان الرمحي قد تسلم نحو 100 ألف دولار.

في أواسط أيار/مايو 1992، وبعد غياب دام شهراً ونصف تقريباً، عاد د. الرمحي من رحلته في الولايات المتحدة. وفي أعقاب رحلته هذه تقرر تصعيد العمل العسكري ضدّ "إسرائيل". في أواخر تموز/يوليو 1992، وصل محمد صلاح في مهمة جديدة إلى الضفة الغربية، وفي زيارته هذه أرسى صلاح الأرضية لإقامة خلايا عز الدين القسام في منطقة الخليل.

بزار هذه الزيارة أثمرت بسرعة في الميدان. ففي شهر أيلول/سبتمبر اجتاحت موجة من الهجمات "الإرهابية" منطقة وسط الضفة الغربية. في 18 شباط/فبراير 1993، ومع نهاية ولاية الرئيس جورج بوش George Bush، أجرت مراسلة صحيفة دافار Davar الإسرائيلية مريم فوكس، مقابلة صحفية مع رئيس وحدة مكافحة الإرهاب في وكالة الاستخبارات المركزية (سي أي أي) Central Intelligence Agency (CIA) الأمريكية

فينسنت كانيستراو Vincent Cannistraro، الذي قال ”يوجد في الولايات المتحدة ما لا يزيد عن 10 إلى 15 نشيطاً لحركة حماس. الادعاء القائل بأن قيادة حماس موجودة في الولايات المتحدة ادعاء لا أساس له“.

وحسب أقوال فينسنت: ”الأوامر العسكرية، التنظيمية، والسياسية تأتي من إيران التي تعمل من خلال مجموعات أقامتها في دول أخرى، معظم تمويل المنظمة يصل من إيران، ولكن من المحتمل أن جزءاً منه يمر عبر الولايات المتحدة“.

لقد لفتت ”إسرائيل“ انتباه سلطات الأمن الأمريكية إلى نشاطات حماس في الولايات المتحدة، وإلى علاقات الحركة مع ”جماعات أصولية“ في أوروبا. وفي محافل مشتركة تولّت بحث قضايا ”الإرهاب“، حذّر الإسرائيليون ممثلي الإدارة الأمريكية من ”التطرف الإسلامي“ الذي يتنامى ويزدهر في كنف ”الديموقراطية“ الأمريكية. وأقر الأمريكيون أمام نظرائهم الإسرائيليين بأنه طالما أن النشاطات الإسلامية تجري في إطار حرية التعبير والعبادة فإنه لا يمكن عمل شيء ضدها.

ومع ذلك، قال رئيس الشاباك في حزيران/ يونيو 1993، إن ”إسرائيل“ لم تطلب من الولايات المتحدة أن تعمل في أراضيها ضدّ حماس. وفي كانون الثاني/ يناير 1993، أعلن أن مكتب التحقيقات الفيدرالي (أف بي أي) Federal Bureau of Investigation (FBI) تحقق في شبهات حول نشاط غير قانوني لحركة حماس في الولايات المتحدة تحت ستار نشاط ديني. وقد دارت الشبهات حول نشاطات تتعلق بجمع أموال لحساب الحركة في الأردن وفي المناطق. وقالت مصادر في واشنطن إن هذا الموضوع يشكل ”مبعث قلق“.

لاحقاً تبين أن الولايات المتحدة أجرت في تلك الأيام نفسها اتصالات سرية مع قيادة حماس عن طريق مندوبيها في سفارات بالشرق الأوسط، وكان الأمريكيون هم الذين بادروا إلى تلك المحادثات في محاولة لجس نبض الحركة واستطلاع إمكانيات ضمها إلى المفاوضات السياسية مع ”إسرائيل“. وجرت معظم هذه اللقاءات في عمّان بمشاركة المستشار السياسي لسفارة الولايات المتحدة في الأردن، غير أن الاتصالات جرت أيضاً في دمشق، وتونس، والرباط.

في الثاني من آذار/ مارس أعلن المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية عن ”وقف الاتصالات التي أجرتها محافل دبلوماسية أمريكية في عمان مع عناصر حماس“. الناطق باسم حركة حماس، إبراهيم غوشة، والذي دُعِيَ للتعقيب على القرار، قال إن الحركة هي التي قطعت الاتصالات بسبب رفض الولايات المتحدة رفع مستوى المحادثات، ووصف غوشة محاولات ربط الاتصالات الدبلوماسية بسعي حماس لطرح نفسها كبديل عن منظمة التحرير الفلسطينية بأنها محاولات ”للاصطياد في مياهٍ عكرة“.

وقد جرى الحوار مع الأمريكيين بموازاة اتصالات غير رسمية أجراها زعماء حماس مع دبلوماسيين يمثلون دولاً أخرى من بينها بريطانيا، وإيطاليا، وألمانيا. في 1993/3/9 أفادت صحيفة النهار اليومية الصادرة في القدس الشرقية بأن قيادة حماس في عمان أعلنت بأن مندوبين عنها أجروا حواراً سياسياً مع مندوبين إسبانيين وصينيين في الخرطوم. وأعلن ممثل حركة حماس في الأردن محمد نزال أن لقاءات مماثلة عُقدت مع السفير الألماني والسفير الإيطالي وأنه ”حاولنا التوضيح في هذه اللقاءات بأن حماس ليست منظمة إرهابية“.

الحوار الأمريكي مع حماس توقف بعد أن تسرّب أمر هذه الاتصالات إلى وسائل الإعلام، وأثار موجة من ردود الفعل الغاضبة في ”إسرائيل“ وفي الولايات المتحدة.

وفي الثاني من نيسان/ أبريل 1993 فقط، أعلنت الخارجية الأمريكية عن إدراج حركة حماس على ”قائمة التنظيمات والدول المؤيدة للإرهاب“.

الكتاب الإسرائيلي يورد كذلك جانباً من تفاصيل الزيارة الأخيرة التي قام بها أبو مرزوق لقطاع غزة سنة 1990. فيقول إن سيد أبو مسامح طلب في حزيران/ يونيو 1990 من أبو مرزوق إعفائه من مهمته كقائد لحركة حماس في قطاع غزة، وأن أبو مرزوق عين بدلاً عنه عماد الفالوجي الذي سبق له أن رشحه لتولي مهام قيادية في الحركة. وبموجب هذا الترشيح كان أبو مسامح قد كلف الفالوجي بتمثيل قطاع غزة في ”مكتب الضفة والقطاع“، وهو الهيئة العليا لقيادة الداخل التي شكلها أبو مرزوق.

وكما كان أبو مرزوق هو الذي يعين القادة العسكريين لحماس ويحدد أطر الجهاز العسكري، فإنه—كما يواصل الكتاب—شكّل في أثناء زيارته الأخيرة للقطاع قيادتين، واحدة لجهاز الأمن برئاسة سفيان أبو سمرة، وأخرى للإعلام برئاسة أحمد الساعاتي. كما حدد قنوات اتصال هذه الأجهزة. وبعد مغادرته غزة، بدأت الأجهزة تعمل بموجب الأهداف التي رسمها لها أبو مرزوق.

ودون أن يذكر ذلك صراحة، يوحي الكتاب الإسرائيلي، أن أبو مرزوق كان أيضاً هو المسؤول عن أموال حماس، وهو صاحب القرار في إنفاقها. ففي منتصف تشرين الأول/ أكتوبر، وبعد انتهاء مرحلة البناء التنظيمي الأولية، اتصل سيد أبو مسامح هاتفياً مع أبو مرزوق ليطلب موافقته على سحب 210 آلاف دولار لتغطية احتياجات الحركة. وقد أودع أبو مرزوق المبلغ في حساب ببنك أمريكي، وأوعز لأبو مسامح أن يحصل عليه من صراف في غزة.

(انتهى عرض الكتاب)

### الانتقال إلى الأردن:

في سنة 1990، تمّ عقد اجتماع لمجلس شورى الجهاز العام لفلسطين، وقرر الإخوة المجتمعون انتقال أبو مرزوق من الولايات المتحدة الأمريكية إلى الأردن للاقتراب الجغرافي من مركز الحدث الفلسطيني، فانتقل للإقامة في الأردن لأول مرة في حياته، كان ذلك في حزيران/ يونيو من تلك السنة. كما نقل أبناءه من المدارس الأمريكية إلى المدارس الأردنية في عمّان. ويقول إنه اختار الأردن لأسباب ذات علاقة بالوضع العام داخل الأردن ذاته، حيث إن الفلسطينيين والأردنيين يشكّلون في واقع الحال شعباً واحداً، وتاريخاً واحداً، وخلفية واحدة. ثم إنه كان قد بدأ في الأردن نشاطاً لرموز آخرين من حماس. وكان الأردن أول بلد خارج فلسطين يبدأ فيه نشاط للحركة، حيث كانت العلاقات مع الدول العربية والإسلامية ما تزال في بداياتها. ويقول أبو مرزوق: ”إن لم تكن مغروساً في قلب الوطن، فلتكن في النقطة الأكثر قرباً منه“.



دخل أبو مرزوق الأردن بجواز سفر يمني كان قد حصل عليه سنة 1973، وحصل على حق الإقامة في الأراضي الأردنية، وأقام في شقة مفروشة. غير أنه طُلب لمراجعة دائرة المخابرات العامة في تشرين الأول/أكتوبر من السنة نفسها في إطار إجراءات طلب الحصول على إقامة سنوية. وفي أثناء تلك المقابلة أُبلغ برفض إقامته، وطلب منه مغادرة الأردن، ولم تُجدد إقامته المؤقتة.

وحيث إنه لم ينصَح لهذا الطلب، فقد مُنِع من العودة للأردن من إحدى سفراته الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة. وبالرغم من أن إقامته المؤقتة كانت ما تزال سارية المفعول، إلا أنه مُنِع من دخول المطار وتم إبعاده إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، ومنها في تشرين الثاني/نوفمبر إلى الولايات المتحدة من جديد حيث أقام في هذه المرة في منطقة واشنطن الكبرى، التي هي جزء من ولاية فرجينيا، مجاوراً "رأس الأفعى" على حد وصف د. محمد مهدي، الناشط البارز في أوساط العرب بالولايات المتحدة، والذي يرى أن أميركا هي "رأس الأفعى" الصهيونية، في حين أن "إسرائيل" هي مجرد الذنب.

ولم يعلم أبو مرزوق حتى الآن أسباب ذلك الإجراء من قبل الأردن. غير أنه يقول إن الأسئلة التي وجَّهها له المحقق في دائرة المخابرات العامة تركزت بشكل رئيسي حول عضويته في الهيئة التأسيسية للجامعة الإسلامية في غزة، وعن مدى معرفته بحركة حماس؟ ولما كانت شخصيته وهويته السياسية غير معروفتين لدى المحقق في ذلك الوقت، فقد قال له أبو مرزوق مكرراً ما كان يتم تداوله في الشارع السياسي، وذلك في محاولة للتضليل، أنتم، والإخوان المسلمون في الأردن من يقف وراء حماس. وهنا أغلق التحقيق، ولكن دون الاستجابة لطلب الحصول على الإقامة في الأردن.

وتؤكد مصادر أخرى في حركة حماس أن أحد أتباع ياسر عرفات، رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية، كان قد كتب تقريراً للأجهزة الأردنية كشف فيه عن الهوية السياسية لأبو مرزوق؛ مما اضطره للعودة إلى أميركا.

واستمر نشاط أبو مرزوق في حقلَي العمل الإسلامي العام والفلسطيني حتى نهاية سنة 1990، إلى ما بعد ثلاث سنوات من انطلاق الانتفاضة الفلسطينية،

وتحوّل جماعة الإخوان المسلمين في قطاع غزة والضفة الغربية إلى حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في 1987/12/14.

### التفرُّغ للشأن الفلسطيني:

في نهاية سنة 1991، ترك أبو مرزوق العمل الإسلامي العام داخل الولايات المتحدة، وتفرَّغ للاهتمام بالشأن الفلسطيني بشكل كامل، وأصبح مجمل نشاطه في الساحة الفلسطينية. وكان أن صادف قبل ذلك في أوائل 1990 حصول زوجته على البطاقة الخضراء (جرين كارد Green Card) للعائلة يضمن لها حق الإقامة الدائمة في الولايات المتحدة، وذلك من خلال الفوز باليانصيب السنوي الذي يُخصَّص لمواطني مناطق جغرافية معلنة. وقد تقدم للاشتراك في القرعة لذلك العام أكثر من ثلاثة ملايين إنسان من منطقة الشرق الأوسط وباكستان والهند، حصل 20 ألفاً منهم على الجرين كارد، كانت من بينهم زوجة أبو مرزوق، السيدة نادية العشي.

بالرغم من دوره التاريخي في تأسيس جماعة الإخوان المسلمين في قطاع غزة، لا يزعم أبو مرزوق دوراً لنفسه في تحوّل جماعة الإخوان المسلمين إلى حركة المقاومة الإسلامية (حماس). ويعود الفضل في ذلك للمكتب الإداري في قطاع غزة، والذي كان يرأسه الأستاذ عبد الفتاح دخان، الذي كان من القيادات الأولى للإخوان في القطاع مع خمسة من إخوانه: د. إبراهيم المقادمة، وصلاح شحادة، ومحمد حسن شمعة، والمهندس عيسى النشار، ود. عبد العزيز الرنتيسي، وفي الضفة الغربية الأستاذ جميل حمامي. وقد تم ذلك بعد أسبوع من انطلاق الانتفاضة في 1987/12/8.

وكان دخان قد تولى رئاسة المكتب الإداري لجماعة الإخوان في القطاع في أثناء اعتقال الشيخ ياسين اعتباراً من أيار/ مايو 1984.

إلى جانب المكتب الإداري في قطاع غزة، يوجد مكتب إداري آخر يتولى قيادة الجماعة في الضفة الغربية. والمكتبان مرتبطان معاً، في ظلّ استقلالية تفرسها طبيعة الاحتلال وإجراءاته القمعية التعسفية التي تمنع التواصل بين الضفة

والقطاع. ومع تصاعد الانتفاضة اشتد الحصار الإسرائيلي ومنع الاتصال والتنقل بين مدن وقرى الضفة الغربية ذاتها عوضاً عن قطاع غزة. وقد استتبع ذلك إجراء تغيير في صيغة العلاقة بين المكتبين الإداريين، حيث جعل الربط بينهما يتم عبر الأطر القيادية في الداخل، ولاحقاً عن طريق الخارج.

وقد سهّل وجود أبو مرزوق في الولايات المتحدة عملية الاتصال المباشر بشكل كبير بينه وبين القيادة في كل من الضفة والقطاع. وقد كان يتولى تسهيل المهمات ويقدم معظم الخدمات التي كانت تحتاجها في البدايات، دون أن يتعدى ذلك إلى الجانب التنظيمي لعدم الحاجة إلى ذلك. غير أنه عندما عجز الإخوة في الداخل عن إدارة شؤونهم من الناحية التنظيمية بسبب كثرة الاعتقالات، يقول أبو مرزوق: إنه تدخل من جانبه سنة 1989 لإعادة تشكيل المكتب الإداري، والمكتب الخاصة، مثل المكتب العسكري والمكتب الأمني.

وقد اضطره ذلك إلى الدخول إلى قطاع غزة لأكثر من مرة، كانت آخرها في سنة 1989، حيث غادر القطاع بعد أن أعاد تشكيل الحركة في الداخل، ليطلب في اليوم التالي مباشرة لمغادرته لمقابلة الحاكم العسكري الإسرائيلي في رفح، حيث كان قد تمّ تسريب خبر من داخل السجن عبر مرسال أرسل له بأن الأمر قد تمّ كشفه عليك المغادرة على الفور، ولما كان قد رتب زيارة أخرى للداخل الفلسطيني أجلّ السفر 24 ساعة، وبعدها غادر، وعلى إثرها كان الجنود يطرقون باب المنزل إلا أنه كان غادر قبل ساعات معبر رفح الفلسطيني وأصبح في الأراضي المصرية.

وقد ترافق تشكيل المكتب السياسي مع تطور العمل السياسي، والمؤسسي والعسكري لحركة حماس. كما أنه ترافق مع تصاعد الضغوط الإسرائيلية على أمريكا وبريطانيا، والغرب بشكل عام، متهمّة واشنطن ولندن على وجه الخصوص بإيواء قيادات حماس، وجمع الأموال فيهما، خصوصاً وأن حماس، كما يقول أبو مرزوق، كانت قد طورت عملها العسكري في ذلك الوقت، لدرجة معتبرة، ووقعت اشتباكات عسكرية متعددة بين رجال حماس، وقوات الاحتلال وبرز منهم: عماد عقل، وعوض السلمي، وكمال كحيل، والأخوان عوض الله، ومحبي الدين الشريف.



وعلى إثر ذلك، كان قد تمّ اعتقال عدد من قادة حماس في الداخل: سيد أبو مسامح، وعماد الفالوجي، ود. محمود الرمحي وغيرهم. ثم تمّ اعتقال محمد صلاح في أثناء إحدى رحلاته من الولايات المتحدة إلى الأراضي الفلسطينية، مما شكّل أساساً لممارسة الضغوط على الولايات المتحدة. وتطورت الأمور بشكل متسارع، وتمّ إبعاد معظم قيادات حماس في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى جنوب لبنان في كانون الأول/ ديسمبر 1992 في أعقاب عملية اختطاف وقتل العريف الإسرائيلي نسيم توليدانو، حيث أقام المبعدون الـ 400 في مخيم مرج الزهور الشهير، الذي رفضوا مغادرته، وظلّ يمثل عامل ضغط كبير على ضمير المجتمع الدولي، حتى اضطرت الحكومة الإسرائيلية تحت وطأة ذلك، للموافقة على عودة المبعدين، الذين كانوا قد اختاروا عبد الفتاح دخان مسؤولاً عن مخيمهم، ود. الرنتيسي ناطقاً رسمياً، ود. عزيز دويك ناطقاً بالإنجليزية.

والواقع أن عودة مبعدي مرج الزهور قد أذنت أيضاً بعودة أبو مرزوق للإقامة في الأردن، وسنأتي على ذلك في سياقه.

### حماس في الضفة الغربية:

حديث أبو مرزوق العابر عن الضفة الغربية، جعله يحيلنا إلى الشيخ صالح العاروري، صاحب التجربة الطويلة في الضفة والذي اعتقل في سجون الاحتلال أكثر من 18 عاماً، بعد أن لاحظ: ”تأخر العمل في الضفة الغربية حتى نضجت الفكرة والتطبيق في غزة“.

السيد العاروري ارتأى أن يزودنا بالشهادة المكتوبة التالية:

في نهاية سنة 1990 كنت في الاعتقال الإداري الصهيوني في سجن النقب، والتقيت مع عدد من الإخوة الأحبة الفاعلين في العمل المقاوم الشعبي الذي كنا نقوم به في إطار حماس، أذكر منهم الشهيد عادل عوض الله رحمه الله، وكانت حوارات معمّقة حول القادم، وكانت الرؤية تتبلور حول حقيقة أن العمل الشعبي العام يتراجع مع تطاول الأيام، وزخم المشاركة يخف. وهذه سمة حتمية لكل التحركات الشعبية لا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية. فإما أن تحقق أهدافها، أو تتحول إلى أشكال أخرى تستبدل حجم المشاركة الواسع بنوع المشاركة والفعالية،

وتعويض التناقص الكمّي في المشاركة بالتطور النوعي للفعاليات، وهو ما يعني على أرض الواقع الانتقال إلى مرحلة المقاومة المسلحة.

بعد خروجنا من الاعتقال الإداري، بدأنا التواصل مع مَنْ نتوسم فيه الجاهزية والاستعداد والكفاءة للقيام بهذا العمل. ولم تكن للحركة تجربة واسعة في هذا المجال في الضفة، فقد كانت الانتفاضة تعتمد أساليب المقاومة الشعبية، وحماس انطلقت كحركة مقاومة منذ أربع سنوات، وكانت مسيرة تطورت إلى مشاركة أبناء الحركة في مقاومة الاحتلال تدريجياً، في ظلّ انتفاضة شعبية شاملة ضدّ الاحتلال، وقد كان الإعداد والتعبئة التي تبنتها الحركة بقياداتها وأدبياتها تعني شيئاً واحداً لكل أبنائها، هو أننا ماضون في هذا الطريق حتى النهاية، حتى الحرية الكاملة لشعبنا، ووطننا، وغروب شمس الاحتلال إلى الأبد.

وكان هذا واضحاً من خلال مسيرة الحشد والتجنيد، التي امتدت لتشمل أنوية مميزة من شباب الحركة من جنوب الضفة إلى شمالها، وقلّ ما اخترنا أحداً وعرضنا عليه واعتذر، فقد كان الجميع جاهزاً للمرحلة. وكانت هذه الجاهزية والتحفّز هي الأساس لنجاح واستمرارية وتطور المقاومة المسلحة في فلسطين. وقد كان سبق لهذا العمل إخوة كرام، ومن ذوي السبق في ضفتنا العزيزة، وعلى رأسهم شيخنا الجليل محمد أبو طير، وكذلك مجموعة البراق في الخليل. ولكن المجموعتين تعرضتا للاعتقال قبل الانطلاق. فقد كانت التجربة مبكرة ورائدة وممهّدة لما بعدها من نجاح. وهكذا أصبح الجو الوطني مهيباً لتطوير المواجهة مع المحتل بفعل الانتفاضة المباركة، وكذلك بفضل القاعدة الحمساوية، المتحفّزة جداً والجاهزة، والخبرة والتجربة الأفضل حالاً بكثير، مع وجود محدود لقطع السلاح يمكن الحصول عليه من خلال تجار السلاح، فيما كان الهدف (العدو) يتجول في شوارعنا وأزقتنا.

ولم يبق إلا التواصل مع القيادة لتبني هذا العمل وإمداده بما يلزمه من مقدّرات تتجاوز ما يتم إمدادنا به لأعمال المقاومة الشعبية، ويتجاوز إمكاناتنا الشخصية المتواضعة، وقد كنّت مع أخوين حبيبين مسؤولين عن فعاليات مقاومة الاحتلال على مستوى محافظة رام الله في إطار حركة حماس، وقد مضى أحدهما شهيداً، وهو الأخ الحبيب عادل عوض الله، وأما الأخ الآخر فما زال ينتظر، وهو الأخ الأسير إبراهيم حامد، الذي قاد المقاومة في مرحلة بالغة الأهمية في الانتفاضة

الثانية في الضفة، وتمّ الحكم عليه بالسجن عشرات الأحكام المؤبدة... نسأل الله له الفرج القريب، ولكل إخوانه، وكنا ثلاثتنا مسؤولين عن فعاليات الانتفاضة على مستوى محافظة رام الله والبيرة، وكنا نحمل نفس القناعة، وهي حتمية تطوير أساليب المواجهة مع الاحتلال، وأنه قد آن الأوان لانطلاق المقاومة المسلحة، ومن أجل ذلك يتوجب التواصل مع القيادة ويلزم أن يسافر أحدنا ليمثّل هذا العمل ويتابعه ويوفّر له ما يلزمه من الخارج.

وبالفعل غادر الأخ إبراهيم إلى الخارج وتواصل مع القيادة من خلال أخوين لا يمكن ذكر اسميهما لاعتبارات أمنية تخصّهما، ولكن المشروع وصل إلى رأس الهرم في ذلك الوقت من سنة 1992م، وكان الدكتور موسى أبو مرزوق رئيساً للمكتب السياسي لحركة حماس، ولم يكن الحال عند القيادة بأقل منه رغبة واستعداداً لتبني هذا العمل والمضي فيه إلى آخر الشوط.

[يكشف أبو مرزوق فيما يخص إبراهيم حامد أنه معتقل حتى الآن (2016) في السجون الإسرائيلية، وأنه كان مقيماً عنده في فرجينيا بالولايات المتحدة خلال الفترة 1992/1991 وتوجه إلى الأردن سنة 1993، حين تمّ الاتفاق مع الشريف زيد بن شاكر؛ رئيس الوزراء، على الإقامة في الأردن].

فقد أرسل إلينا أبو مرزوق رسالةً يحمل الموافقة على المشروع، وكذلك المال اللازم للانطلاق، وكان مائة ألف دولار لم تلبث خلال أيام أن تحولت إلى قطع سلاح تمّ شراؤها من تجار سلاح، ومن إخوة تخصّصوا بذلك، حتى إنهم حصلوا على بعض هذه الأسلحة شراءً من جنود العدو مقابل المال. وتمّ توزيع هذا السلاح على المجموعات التي كانت جاهزة للعمل وشراء سيارات لتنفيذ العمليات. وكانت أول عملية نفذتها كتائب القسام في الضفة، نفذها المجاهد محمد بشارات في القدس، ثم توالى العمليات والمجموعات يتبع بعضها بعضاً.

ومن هذا المال تمّ شراء بندقية الشهيد عماد عقل، وهي من طراز أم 16 التي نزل بها إلى غزة بعد أن شارك إخوانه في الضفة في مجموعة من العمليات البطولية المميزة، وطلبنا من قيادة الحركة المزيد من المال، فالجميع يريد أن يشارك في القتال، والسلاح في السوق السوداء مرتفع الثمن، فتم إرسال أخينا أبو أحمد مرة أخرى، وبدفعة جديدة من المال الذي تحوّل إلى سلاح ومجموعات وعمليات في الضفة وغزة، حيث كان معنا وكان معه الشهيد عز الدين الشيخ خليل رحمه الله

مسؤولاً عن العمل المقاوم في قطاع غزة، وكان ترتيبنا أن أقود العمل في مرحلته الأولى، فإذا استشهدت أو اعتُقلت، يتسلمه الشهيد عادل، وكان على اطلاع على كل التفاصيل... ويتابع معنا الأخ إبراهيم من الخارج، وبالفعل تمّ اعتقالنا في نهاية عام 1992م بعد أن انطلق العمل بزخم كبير. واعتُقل أيضاً الأخ عادل، لكنه أُفرج عنه بعد ثلاثة شهور، وبقيت في السجن حتى 2010، وتولى الأخ عادل قيادة المقاومة بعد الإفراج عنه حتى استشهد في عام 1998م، ثم تولى الأخ إبراهيم حامد قيادتها في الانتفاضة الثانية، بعنف وزخم أشد حتى اعتُقل وما يزال معتقلاً.

أما الأخ عز الدين فقد فاز هو الآخر أيضاً بالشهادة، ودفع الأخ أبو أحمد خط التواصل بيننا وبين القيادة الثمن، حيث اعتُقل لدى الاحتلال لخمس سنوات، وكذلك لدى الأميركيين، وتم تجميد كل أمواله وممتلكاته حتى توفاه الله في هذه السنة (2016م)، ووصل الأمر إلى قيادة الحركة التي تبنت هذا الخيار ووفرت له المقدرات اللازمة، فاعتُقل الأخ الدكتور موسى أبو مرزوق، في أميركا لثمانية عشر شهراً، رحل بعدها وعائلته إلى الأردن.

وفي طريق المقاومة خاض غمارها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً. كلهم أعلام في فضاء وسمااء المقاومة، وفي عيّن، وفنادق الصبر والمجاهدة والإبعاد.



د. موسى أبو مرزوق برفقة بعض أصدقاء الدراسة بمدينة فورت كولنز - كولورادو

Musa Abu Marzuq: A Life Journey

Memoirs of Seeking Refuge, Emigration and the Years of Struggle

## هذا الكتاب

أن تولد لاجئاً، وأن تعيش مناضلاً، وأن يضعك الله سبحانه في مشهد الصدارة لقيادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، فهذه ملحمة ومشوار حياة فيه الكثير من التحديات، ويتطلب من القائد حكمة بالغة وصبراً جميلاً، للحفاظ على توازن المسيرة وتحقيق الأهداف.

في هذا الكتاب، استعراض لصفحات النشأة في المخيم، ثم سنوات الدراسة والعمل داخل الوطن وخارجه.

بلا شك، كانت المحطة الأهم في هذه السردية، هي سنوات العمل، ثم الاعتقال في أمريكا، على خلفية قيادة المكتب السياسي لحركة حماس.

عامان كان فيهما الكثير من الأحداث والمعاناة والفرص لإبراز القضية الفلسطينية، وتجسيد خطاب حماس السياسي كأحد أهم معادلات الصراع مع الاحتلال، وفضح جرائمه التي كانت أمريكا—بانحيازها لـ"إسرائيل"—تعمل على تعطيلها، وإفشال أي جهد دولي أو إنساني لنصرة الفلسطينيين وقضيتهم.

هذا الكتاب يعرض الجزء الأول من الرواية، والتي ستكتمل تفاصيلها فيما هو قادم من أجزاء أخرى إن شاء الله.

ISBN 978-9953-572-82-6



9 789953 572826



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب. 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | تليفاكس: +961 1 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

